تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

حول مشكلة النقد والنقاد

حياك الله وحيى أدبك الرفيع وبعد

كان سرورى بعودتك إلى تعقيباتك الفطنة الواعية فى « الرسالة » الغالية سرور المنصف بعودة الحق إلى نصابه ... ولم يحملنى تعريجك على ديوانى الجديد « من نبع الحياة » أن أنقص من فرحتى ذرة واحدة بعودتك إلى عشك الأليف فى « الرسالة » لأن الحق عندى لا يتأثر بما قد يثار من غبار .

ولقد كان تعقيبك على مشكلة النقد والنقاد ، وتعرضك لنقد الدكتور الأهوانى لديوانى الجديد مسألة من حق الأهوانى أن يدافع عن نفسه فيها ، فله قلم وفيه بيان ، ولست أدعى الحرص على مركزه كناقد أكثر من حرصه على نفسه

على أننى تبينت من كلمتك استعدادك لمناقشة الدكتور الأهوانى حول ما كتبه عن ديوانى « من نبع الحياة » فى مجلتى الرسالة والثقافة ، ولما كنت أخشى أن يكون حكمك على الديوان حكما « غيابيا » لأنه فاتنى — تقصيرا — أن أتشرف باهدائه اليك ... فانه يسعدنى أن أقدم الديوان بين يديك ، راجيا أن يتيح لك من صدق النقد وإخلاص التوجيه ما أعده ضروريا للكمال الفنى .

وإنى على ثقة أن مثلك فى حسه الفنى الأصيل الخليق أن يرحب الكتاب والشعراء بنقده ، وأن يلتمسوا بعينه البصيرة مالم يقع لعيونهم فى ساعات التلقية والالهام .

ولا أزيدك علما ياأخى بأننى فى كتابى « بين السطور » كنت أتوخى الحق دائما فيما تعرضت له من نقد أساتذة أجلاء وأصدقاء أعزاء ، ولكن الحق شىء والصداقة شىء آخر . وآفة النقد عندنا — على وجه العموم — أننا نميل مع الزمام لأحدهما على صاحبه .

وكلانا كالفد المجهول مجروح الجنان (١)
وكلانا كاحتضار النور أو لمح ثوان
وكلانا فى ضمير الغيـ أصداء المعان
يا هنائى أنا والليـ لانا توءمان

أنت فى « باريس » يطويك سلام أبدى
ويواقيك كأحـلامى صبح عبقرى
وببغداد رهين القيد ملتاع شقى
أبداً يشجيك من أوتاره شعر شجى
هو لو تدرين والقيـد بكفيه أبى
وهو لو تدرين قلب بأمانيـه سخى
أنت عطر سكرت من فوحه الدنيا ذكى
وربيع حافل بالطيب مسحور شهى
إيه يا فاتنتى والحب لغـز سرمدى
حفلت دنياك بالرى ولى قلب ظمى

يا ربيعى أنا مالى إن تجافانى الربيع
ملء كفى من الأحلام شوك ودموع
وجراحات وتسهيد وشجو ونجوع
يا ربيعاً لم تعد تدرك معناه الجموع
أنت فى قلبى وإن كان على الأرض الصقيع
أنت فى شعرى وفى ثغرى أغاريد تضوع
لست كالناس متى هاموا تولاهم ولوع
أنا لا أبكى إذا غابت شموس وشموع
لا ولا أشكو إذا لم يك فى الناس سميع
أنا إن آن خضوعاً فلمغناك الخضوع

(بغداد) عبد القادر رشيد الناصرى

(١) الجنان بالفتح القلب

فكن كما أعهدك ، الناقد الذى يفرق بين الحق والمجاملة . ولا أقول الصداقة ، لأن الظروف لم تسعدنى بصداقتك ... وإن كانت صـــلاتنا الفكرية تجمعنا فى إخاء تالد والسلام عليكم ورحمة الله .

محمد عبد الغنى حسن

نشكر للاستاذ محمد عبد الغنى حسن جميل رأيه ونبيل عاطفته وكريم تقديره ، ونبادر فنقول له : إننا حين عرضنا لمشكلة النقد والنقاد فى عدد مضى من الرسالة ، لم تكن نهدف إلا إلى أن نقف إلى جانب الحق ولو أغضب الحق بعض الناس ، وأخرجهم من صفوف الأصدقاء ودفع بهم إلى معسكر الخصوم . . هذا الحق الذى وقفنا إلى جانبه عماده الحرص البالغ على أن تظل القيم منزهة عن الهوى مبرأة من الأغراض ، وجوهره الدعوة الخالصة إلى أن يبتعد بعض الناس عن كل مجال لا يحسنون التعرض له ولا يجيدون الحديث فيه !

ودعوتنا إلى تقرير هذا الحق ليست وليدة اليوم حين طالعنا كلمة نقدية عن ديوان الأستاذ الفاضل ، وإنما هى وليدة الأمس المسجل على صفحات الرسالة منذ عامين ، هناك حيث وردت فى مقالنا عن « عناصر الشخصية الأدبية » هـــذه الكلمات .. « ... ومن عناصر الشخصية الأدبية أن يعرف الكاتب أين يضع مواهبه فلا يدفع بها إلى ميدان لم تخلق له ، وأين يركز ملكاته فلا يوجهها التوجيه العقيم الذى لا ينتج ولا يثمـــر . عندئذ يجدى التركيز حيث لا يجدى التشتيت ، ويغنى الجهد الذى يبذل فى مكانه عن الجهد الذى يبذل فى غير مكانه ... هذا الناثر الذى يعالج نظم الشعر فيخفق ، وهذا الشاعر الذى يحاول كتابة القصة فلا يوفق ، وهذا القصاص الذى ينحرف بريشته إلى النقد الادبى فلا يخرج بشىء ، كل هؤلاء ينقصهم هذا العنصر الخطير من عناصر الشخصية الأدبية ، ونعنى به عنصر الدراسة الخاصة لقيم المواهب والملكات » .

قلنا هذا بالأمس ثم عدنا اليوم فأدرنا الحديث حول معناه وما زلنا نصر على أن بعض الناس — ومنهم الدكتور الأهوانى يقحمون أنفسهم فى ميدان النقد وهم بعيدون عما ينبغى له من وسائل ، ويكرهون أقلامهم على وزن الشعر وهم مفتقرون إلى اكتمال الأداة ! هذا الحق الذى تقرره بالنسبة إلى الدكتور الاهوانى قد سبقتنا إليه « الرسالة » منذ عامين على وجه التحديد يوم أن تعرض الدكتور لنقد كتاب من كتب الأستاذ تيمور وهو كتاب « أبو الهول يطير » ، ولقد عقبت « الرسالة » على نقده بهذه الكلمات : « آفة النقد عندنا الترديد والتقليد ، فالدكتور الأهوانى يردد نغمة قديمة لم يبق لها فى الآذان رجع ! كان النقاد يأخذون على أسلوب الأستاذ تيمور فى نتاجه الأول أنه أقرب إلى العامية فى ألفاظه وتراكيبه ، فانتقش هذا الرأى فى أذهان الناس ، وصرفهم الكسل العقلى عن استئناف النظر فيه بالموازنة والنقد ، فلم يلاحظوا تطور أسلوب الكاتب على إدمان الجهد وكر السنين ، من الابتذال إلى السمو ، ومن السهولة إلى الجزالة ، فيما كتب بعد ذلك من مقالات وقصص . ومن أثر هذا الجمود العقلى أن الناس قد اعتقدوا فى كل كاتب من كتابنا وزعيم من زعمائنا « رأيا لا يتحولون عنه ولا يغيرون منه . فلو كان عندنا نقد يجارى التطور ، ولنا رأى بسابر الهوض ، لحكمنا على الكاتب بآخر مايقول ، وعلى الزعيم بآخر ما يعمل . ويظهر أن الاستاذ الناقد يخلط بين السهولة والابتذال ، فان السهولة من الصفات الجوهرية للبلاغة ، ولا يعيبها على الكاتب إلا جانف بالطبع أو متقعر بالصنعة .

هذا ما عقبت به « الرسالة » على طريقة الدكتور الأهوانى فى النقد ، ولعل الاستاذ عبد الغنى حسن يوافقنا على أن هذه الكلمة الموجزة تغنينا وتغنيه عن كل تفسير وتعقيب . . أما نحن فنوافق الأستاذ الفاضل على قوله بأن تعرضنا لنقد الدكتور الاهوانى مسألة من حقه أن يدافع فيها عن نفسه ، هذا حق ومازلنا على استعداد لمناقشة الدكتور فيما كتب ، وبيننا وبينه كما قلنا موازين النقد وديوان « من نبع الحياة » . ولعله لا يركن إلى الصمت المطبق طلبا للسلامة وإيثارا للعافية .

ولقد تفضل الاستاذ عبد الغنى حسن فأهدى الينا ديوانه الجديد خشية أن يكون حكمنا على الديوان « غيابيا » كما يقول ألا يشعر الأستاذ « الشاعر » أنه قد اندفع بعض الشىء فأفلت

منه زمام التعبير ؟ إننا يا أخي لسنا من هذا الطراز من النقاد ، أولئك الذين يحملون أقلامهم لينقدوا كتابا ولم يقرأوا منه إلا فصلا أو فصلين ، أو ديوانا ولم يقفوا فيه إلا عند قصيدة أو قصيدتين .. لسنا من أولئك ، وإنما نحن — في غير مازهو ولا استعلاء — أصحاب النقد الذي يعرف القواعد والأصول على خير ماتعرف القواعد والأصول . ولا بأس من أن نصفح عن هذه الزلة القلمية ، نصفح عنهـــا مادام رائدها خلوص النية وسلامة القصد ، وهذا ما يؤكد صدق الشعور في كثير من السطور .

ألا فليطمئن الأستاذ عبد الغني حسن إلى أننا أمناء على الحق جرصاء على القيم أوفياء للكرامة العقلية . . وكل هذه الأمور ستكون هي المنهج الذي نسير عليه ولا منهج سواه ، هذا إذا قدر للدكتور الأهواني أن يناقشنا فيما أخذناه عليه من شطحات . وان نتعرض لديوان الأستاذ بنقد أو تحليل إلا إذا أقنع صاحبه بأن يدافع عن نفسه ، وما أكثر ما ينتظره في الطريق الوعر من عقبات !

بقيت اشارة الأستاذ الفاضل إلى كتابه « بين السطور » وما جاء بها عن طريقته في نقد الأساتذة والأصدقاء ، وهي الطريقة التي تؤمن بالوفاء للامانة القلمية قبل الوفاء للعلاقة الشخصية . نحب أن نؤكد للاستاذ عبد الغني حسن وتشهد ندوة الرسالة منذ أسابيع — أننا كنا أول المعجبين بمسلكه هـذا في النقد الأدبي ، يوم أن طالعنا له فصلا من فصوله النقدية في مجلة الثقافة عن آخر كتاب أصدره الدكتور الاهواني ... لقد كان قاسيا كل القسوة على صديقه حتى لقد نعت الكتاب بأنه لا نفع فيه ولا غناء ! هذا المسلك الرائع في معاملة الأصدقاء قد دفعنا إلى الاشادة به في ندوة الرسالة أمام أناس كان من بينهم الدكتور الإهواني .. ولسنا ندري لم نسي الدكتور « الناقد » ذلك الذي قلناه في تلك الليلة تعقيبا على نقد الأستاذ عبد الغني حسن لكتابه وقد كان توجيها له بأن يسير في نفس الطريق ! لقد صدق الأستاذ حين قال : إن الحق شيء والصداقة شيء آخر ، وإن آفة النقد عندنا — على وجه العموم — أننا نميل مع الزمام لأحدهما على صاحبه . .

حول ذكرى الموسيقار باخ

«جمع بضع مئات من الناس أول أمس في كاتدرائية ستراسبورج قطعا من موسيقى جون سباستيان باخ، اثناء الاحتفال بمرور مائتي عام على وفاة ذلك الفنان الخالد .

وقد أضيء برج الكنيسة بالأنوار وزينت جدرانها بقطع ثمينة من السجاد، واشترك في عزف الموسيقى عدد كبير من فناني فرنسا وأركسترا راديو ستراسبورج . وكان هذا الحفل الافتتاح بذكرى باخ . ويطول الاحتفال بها أسبوعين كاملين »!

هذا هو الخبر الذي نقلته إلينا « الأهرام » منذ أيام ... وهو خبر لو رحت تحصي عدد كلماته ، لوجدتها تقل عن الخمسين! ومع ذلك ، فأنت لا تستطيع أن تحصي أصداءه في حنايا النفس ، ولا ظلاله في ثنايا الحس ، ولا معانيه في أعماق الفكر ، ولا رواسبه في قرار الشعور !

أسبوعان ينفقان في تخليد ذكرى ... ذكرى انقضاء مائتي عام على وفاة فنان . إن القوم هناك لا ينسون الفن، ولا يجحدون الفضل ، ولا يشغلون عن التهجد في محراب الذكريات ... كل أيامهم وفاء ، وكل غاياتهم مثل ، وكل آثارهم خلود . وهكذا تجد « باخ » حيا في الضمائر ، ماثلا في الخواطر ، نابضا في القلوب ... ولو انقضى على وفاته قرنان من الزمان !!

نظرة إلى هنا ... ونظرة إلى هناك . وقارن بيننا وبينهم ... بين الذهول والوعي ، بين الخمول والخلود ، بين الوفاء والجحود ، بين القبح والجمال ، بين الموت والحياة ! ترى هل تجيد وجها للمقارنة ؟ لا نظن .. ولكنه الشيء يذكرنا بنقيضه كلما خطر في البال شرق وغرب .. شرق ينسى الذاهبين من أصحاب الفن بعد شهور ، وغرب لا يريد أن ينساهم ولو مرت قرون !

أتذكر يوم حدثناك عن تخليد الأمريكيين لمرجريت ميتشل ، تلك الفنانة المبدعة التي طفرت بالخلود لأنها قدمت إلى العالم قصتها الوحيدة الفريدة « ذهب مع الريح » . . ؟ لقد كان التقدير للكاتبة العظيمة مظهرا من مظاهر الكرامة العقلية في الولايات المتحدة ، تلك التي يقال عنها إن دوي الآلات فيها قد طغى على صوت الفن ، وإن ضجيج المادة قد أخذ سبحات